بسم الله الرحمن الرحيم

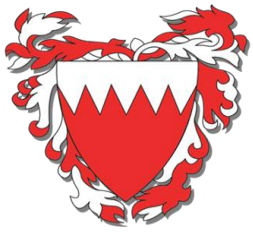

المرأة والرجل

بين المقام والمهام

مقدمة إلى المؤتمر العام الواحد والعشرين " تجديد الفكر الإسلامي" ٨ ـ ١١ ربيع الأول ١٤٣٠ هـ ٥-٨ /مارس /٢٠٠٩ م ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ وزارة الأوقاف ـ جمهورية مصر العربية

إعداد

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمملكة البحرين

http://www.moia.gov.bh

تقديم

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ} [الأنعام:١]، والصلاة والسلام على سيد الخلق، وحبيب الحق، سيدنا محمد وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأبرار، ومن تبعهم بإحسان ما بقي الليل والنهار.

وبعد...

فإنني بالأصالة عن نفسي ونيابة عن مملكة البحرين والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية أتقدم بين يدي هذا البحث بشكر خالص لجمهورية مصر العربية حكومةً وشعباً، ووزارة الأوقاف خاصة على هذه الرعاية المستمرة للمؤتمر السنوي الذي يجمع الأخوة والأشقاء من كل بلاد العالم، يبحثون قضية محورية ، جِدُّ ضرورية في واقعنا، وقد آثرنا أن نقدم هذا العام بحثا بعنوان "المرأة بين المقام والمهام"، سعيا إلى تجديد الخطاب الديني، وتقريبَ الخلاف بين الاتجاهات المتباعدة حول قضية المرأة.

وقد أكد هذا البحث على أهمية الاتفاق على أن الرجل والمرأة متساويان تماماً في المقام، متكاملان وإن اختلفت المهام، وقدم البحث نوعين من الخطاب: خطاب التأسيس لمن لا يؤمن بالنص، حيث قدم من الأدلة العقلية ونتائج الأبحاث العملية والإحصاءات الميدانية ما يؤكد اختلاف الرجل عن المرأة في التكوين الجسمي والعقلي والنفسي والوظيفي. أما خطاب الترسيخ فقد اعتمد النص من القرآن في استقرا ء وإحصاء كل المواضع التي أشارت إلى المرأة سواء كان نصاً جلياً أو تضميناً جلياً أو خفياً، ليؤكد بجلاء أن المهام الأصلية التي تقوم بها المرأة هي الزوجية والأمومة، ولا حرج من المشاركات العامة مع التزام الضوابط الشرعية وعدم التأثير على واجبات الأمومة والزوجية.

وإننا لنرجو أن يكون لمثل هذه الأبحاث أثرٌ في إعادة بناء أبنائنا وبناتنا وتعديل خطابنا إلى الإطار الوسطي الذي يقاوم التحجر من جانب والتحلل من جانب آخر ؛ لننتهي جميعا إلى وسطية الإسلام في وحدة المقام وتكامل المهام، لنعالج الأفكار الراكدة والتطبيقات الفاسدة لنكون بحقٍ أمة شاهدة رائدة.

والله ولي التوفيق...

عبد الله بن خالد آل خليفة

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

المقدمة
جوهر الخلاف في قضية المرأة

الحمد لله الذي خلق الذكر والأنثى، وخلق فسوى وقدر فهدى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أسمى من استوصى بالنساء خيرا، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فأعتقد أنه لم يخلُ دين أو ثقافة أو حضارة أو قانون من الحديث عن وضع المرأة مع الرجل حقوقا وواجبات، وأن مساحة الاختلاف قديما وحديثا تبدو شاسعة في عالم يتصاغر ويتقاصر بسبب سرعة الاتصالات وثورة المعلومات ووفرة الفضائيات، ففي عالمنا ألوان من التحلل والتحجر في قضية المرأة تذهل العقل وتؤرق النفس، فعلى حين لا تزال جماعات متحجرة ديانة أو عرفا، فترى أصل وجود المرأة بلية، ومن يعتقد أن وجودها ضرورة لبقاء وإصلاح البشرية، وهناك من يرى أن صوتها عورة بل ما تزال بعض النساء ترى أن وجهها عورة حتى على زوجها، و من يرى أن كل جسم المرأة ليس بعورة فتعرض بلا ثمن في الشاشات والإعلانات والحانات، وهناك من يقدم مهرا للزوجة ، وهناك زوجات يدفعن المهور، كما أن هناك اغتصابا بلا رحمة، وهناك من يتسلط على امرأته وهناك من تتسلط على الأسرة كلها، وهناك نظم عديدة تنسب الأولاد إلى الأب وهناك من ينسب الأولاد إلى الأم، وهناك مئات الملايين من الأولاد لا يعرفون لهم أبًا أو أمًا، وهناك نساء تدير دولاً ووزارات كبيرة ، ويعجزن عن إدارة عش لأسرة صغيرة، هناك من تخرج وقتما تشاء حيثما أرادت، وهناك من يطالب ألا تخرج المرأة إلا ثلاث مرات: من بطن أمها وإلى فراش زوجها وإلى منتهى قبرها.

وهناك مطالبات بعالم أنثوي خالص ليس فيه رجل، وستخرج دعوات مقابلة ستطالب بعالم رجولي خالص، وهناك نساء غربيات تقود ــ فوق رؤوسنا ــ طائرات عسكرية ، ولا يسمح لنساء مسلمات ــ على أرضنا ــ أن تقود سيارتها المدنية.

وإذا تحاور أنصار هذه التناقضات ازدادت الهوة واتسعت الفجوة، وطارت الفكرة وكأنك تتحاور بين كوكبين أو عالمين مختلفين شكلاً ومضموناً، مبنى ومعنى، ولا يزداد كلاهما إلا بعدًا عن الآخر، وتتعمق الهوة بين التحلل والتحجر، والذي يقع عليه أوسع الضرر آنئذ في جميع الأحوال هو المرأة في أنوثتها الرقيقة ويؤثر هذا بالتالي على الرجل والطفل والأسرة والمجتمع والأمة.

أحسب يقينا أن مفتاح المقام والمهام يمكن أن يفك هذا الاشتباك وأن يقرِّب هذه الهوة، فإذا جئنا إلى الحوار فلنتفق سلفًا هل نتحدث عن المقام أم المهام؟ فمقام الطفلين عند أبيهما واحد ، ومقام الطلاب عند أستاذهما واحد، ومقام كل مواطن أمام القانون واحد، لكن هذا لا يعني أبدا أن تكون المهام واحدة لجنس البشر جميعا، فلكل ولد أن يختار طعامه وشرابه ولباسه ولكل طالب أن يختار تخصصا يبرع فيه يتوافق

مع ملكاته، ولكل مواطن أن يختار الوظيفة التي تناسبه والدور الذي يستطيعه والموطن الذي يسكنه داخل الوطن الواحد.

وفيما يلي بإذن الله نعتمد خطابين نتوجه بهما إلى قادة النخبة والأمة معا، فمن كان لا يؤمن بالنص وجهنا إليه خطاب التأسيس بالدليل العقلي الذي يوصلنا معا إلى صحة الدليل النقلي، أما خطاب الترسيخ فهو يتوافق مع منهجية: {أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيٌ} [البقرة : ٢٦٠]، فنورد النص أولا ثم تكون الأدلة العقلية ترسيخا للإيمان بهذا النص.

وقد استقرأت القرآن الكريم كله في (ختمة تدبر)، بحثت وجمعت النصوص المتعلقة بالمرأة تاركا للنص أن يحدد الرؤية الصحيحة للمرأة كما أرادها الله تعالى، وأشفعتها بقراءة وصفية تحليلية لأنتهي في الأخير إلى ضرورة التخلية عن جميع الأوهام التي عشّشت في عقول ووجدان الكثير من أبناء جلدتنا مفكرين وعوام لنستقر على شاطئ هذا القرآن وسنة النبي ρ ونعيد بناء الإنسان "رجلا أو امرأة" متساويين تماما في المقام، متكاملين وإن اختلفا في المهام.

أدعو الله أن يكتب لنا أجر المصلحين وأن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى أجمعين.

والله ولي التوفيق..

أ.د. صلاح سلطان
١٤ صفر ١٤٣٠هـ
١٠ فبراير ٢٠٠٩م

مدخل تعريفي: بين المقام والمهام

المقام هو المكانة، والمهام هي الوظيفة، المقام هو القيمة، والمهام هي القدرة على الإنجاز، المقام هو المنزلة عند الله تعالى ثم النفس ثم الناس، والمهام هو الدور الذي يجب أن يقو م به ليرضي الله ويسعد في الدنيا والآخرة، المقام هو الكرامة، والمهام ه ي المهمة التي يجب أن أقوم بها، المقام هو منحة السماء لكل بني آدم، لقوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ }[الإسراء : ٧٠]، وقوله تعالى : {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين : ٤]، والمهام هي تصرف ا لإنسان بما يحفظه في أعلى عليين أو يرتد إلى أسفل سافلين، المقام يتعلق بالإنسان أيًّكان بصرف النظر عن جنسه أو لونه أو حسبه ونسبه، لقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ }[النساء : ١]، ولما أورده محمد بن سلامة الشهاب القضاعي عن أنس بن مالك τ قال: قال رسول الله ρ: «الناس كأسنان المشط»[١]، ولما أورده السيوطي من حديث حذيفة بن اليمان τ أن النبي ρ قال : «كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ، لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان[٢]»، فجميع الناس يشتركون في أمرين كما أوضحت الآيات والأحاديث : رب واحد وأصل واحد، أما المهام فسباق نحو الخير أو الشر من فعل الإنسان لقوله تعالى : { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا } [الجاثية : ١٥] ، ليكون الميزان قوله تعالى: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[الحجرات : ١٣] ، فللمقام يرتبط بكون الرجل والمرأة أصلا إنسانً ا، أما المهام فترتبط بكون جنس المرأة يقابل جنس الرجل، لقوله تعالى:{وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى } [آل عمران : ٣٦] .

المقام مثل الزمن والمهام مثل الليل والنهار، ففي المقام لا تفضيل بين الليل والنهار، فالليل راحة وسكن، والنهار سعي وعمل، وهما متكاملان، ويوضح ذلك ما قاله الشيخ الشعراوي :" كلمة امرأة تعني أن لها مقابلا وهو رجل، وامرأة تعني أنثى ورجل يعني ذكر، يجمعهما جنس واحد وهو الإنسان، فإذا انقسم جنس واحد إلى نوعين، فلا بد أن يكون لأداء مهمتين، مثل الزمن جنس يشمل الليل والنهار ولم يأت النور ليعارض الظلام"[٣].

يتساوى الرجل والمرأة تماما في المقام ، ويختلفان ويتكاملان في المهام وفق منهجية الإتقان لما يحسنه بناء على قدراته وملكاته التي فطره الله عليها، المقام يجعل عدل الله أن يسوي في الأجر بين الرجل والمرأة إذا فعلا شيئًواحدًا مثل الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، لكن المهام

---

[١] مسند الشهاب، ١٤٥/١.
[٢] صحيح الجامع - ص٤٥٦٨، حديث صحيح.
[٣] كتاب "المرأة كما عرضها الله " للشيخ محمد متولي الشعراوي، مكتبة القرآن ، ص٣٦، وكتاب "القرآن الكريم معجزة ومنهاج " للشيخ متولي الشعراوي، طبعة دار الندوة الجديدة بيروت، ١٤٠٥ هـ ، ص١٠٢ .

تجعل للمرأة أحكاما في الصلاة والصيام والحج يختلفان ، فالمرأة لا تلبس في الإحرام مثل الرجل وتحتاج لمحرم غير الرجل، وكلٌّ ينال الأجر نفسه إذا التزم دقة الاتباع للهدي النبوي كلٌّ على حدته، كما قال تعالى :{ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ } [آل عمران : ١٩٥].

وأستطيع تقسيم الناس بالنسبة لقضية المرأة في المقام والمهام إلى ثلاثة أنواع:

	المتحجرون (المتشددون دينيا، المقلدون عرفيا)	المتحللون (العلمانيون)	المعتدلون (الوسطيون إسلاميا)
المقام	المرأة دون الرجل	المرأة تساوي الرجل	المرأة تساوي الرجل
المهام	المرأة تختلف تماما في دورها عن الرجل	المرأة تتساوى تماما في الدور مع الرجل انطلاقًا من طبيعتها وتكوينها	المرأة تتساوى في بعض وتختلف في أخرى وفقا للشريعة
مظاهر الاختلاف	-أدبيات تحتقر المرأة. -اسمها وصوتها عورة. -خروجها فتنة. -عقلها قاصر ورأيها باطل. -نفسها شريرة. -دورها الأساسي في الفراش وتبعاته. -الولاية والقوامة تسلط على المرأة. -منعها من اختيار زوجها. -منعها من تملك المال أو التصرف فيه. -منعها من التصويت في الانتخابات والمشاركة. -منعها من التعليم الكافي. -تحريم عملها خارج البيت.	-تبرج، سفور، عري. -تعامل واختلاط بلا ضوابط. -سفر بدون استئذان. -رفض القوامة والولاية والاستئذان. -احتقار لدور الزوجية والأمومة. -اتفاقية سيداو، وثيقة مؤتمر السكان في القاهرة، مقررات مؤتمرات الصين وتركيا وما بعدها، اتفاقية حقوق الطفلة الأنثى (إباحة الشذوذ والتضييق على الزواج). -ترسيخ مفاهيم الجندر. -إثارة الشبهات عل ى	-المرأة والرجل مكرمان من الله (رب واحد وأصل واحد)، وهو حق وليس منحة من أحد. -يتساويان في الكرامة، في التكليف، في حق الحياة، في المسؤولية، في الحدود والعقوبات الشرعية، حق التملك والتصرف وحق الانتخاب والمشاركة في الجوانب التي تتناسب مع إمكانات كل منهما. -يختلفان في بعض الجوانب الجسدية، والعقلية، والنفسية، وفي أحكام اللباس والزينة والقوامة والتعدد والشهادة وتولي الوظائف العامة.

	-يحرم التعامل مع غير المحارم.	الثوابت الشرعية والأعراف الاجتماعية.	
النتائج	-تدهور وتخلف حضاري وإنساني واجتماعي. -عدم ثقة المرأة بنفسها وتهميش دورها. -أطفال مقلدون. -رجال ونساء ومجتمع متخلف روحيا، وأخلاقيا، وعلميا، وجسديا. -تشويه صورة الإسلام. -الهوى الداخلي والعرف الاجتماعي يسبقان الحكم الشرعي. -التزام في الشكل وانحراف في الجوهر. - أمة راكدة.	-تسلط المرأة. -سعار وأمراض جنسية. -تفكك الأسرة وضياع الأولاد. -تراجع الزواج. -أطفال منفلتون. -انتشار العنوسة والطلاق والتحلل الخلقي. -انتشار الاغتصاب والمخدرات. -أمم فاسدة.	-ثقة المرأة بنفسها، مكرمة ممن حولها. -توازن وتكامل وتعاون بين الرجل والمرأة. -أسرة مستقرة. -أطفال مبدعون. -تقدم حضاري يجمع بين الرقي الروحي والأخلاقي والعلمي والجسدي والاجتماعي والإنساني. -أمة رائدة

أرجو أن يكون قد اتضح مرادي من المقام والمهام على مستوى التنظير والتطبيق على واقعنا المعاصر، بآلامه وآماله.

الفصل الأول: خطاب التأسيس للمقام والمهام.

أعني بخطاب التأسيس أن أخاطب من لا يؤمن بوحي ولا يلتزم بنص ، بما نتفق عليه بالرؤية البصرية والأدلة العقلية ونتائج الأبحاث العلمية، وأعتقد أن هذا الفريق ليست عنده مشكلة في مقام المرأة فهي عندهم مساوية للرجل أو تتجاوزه، وتتركز المشكلة إذ ن في عدم الاعتراف أن مهام المرأة لا تتطابق أبدا مع مهام الرجل، فهي عندنا لا تتطا بق لكنها تتفق وتختلف وتتكامل، وهي عندهم تتطابق تماما فمن حق المرأة – كما ينادون – أن تتساوى مع الرجل في كل شيء، وعقدوا لذلك مؤتمرات[٤]، وأسسوا هيئات ليصلوا إلى تطابق الرجل والمرأة في المهام، وإلى هؤلاء أسوق الأدلة الحسية والعلمية الدالة على وجوه الاختلاف في التكوين الجسمي، والعقلي، والنفسي، كما يوضحها الجدول التالي[٥]:

---

[٤] راجع المتابعة الدقيقة العميقة لهذه المؤتمرات والهيئات الدولية، في كتاب العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية، د .فؤاد العبد الكريم، الطبعة الأولى٢٠٠٥م، سلسلة كتاب البيان.

[٥] المصادر:

- "الفرق بين المرأة والرجل"، نورهان إبراهيم عبدالله، الباحثة بمعهد ابن النفيس.
- "معارك قيس وليلى"، دراسة علمية مفصلة عن الفروق البيولوجية والاجتماعية بين الرجل والمرأة، ألان وبربارة ، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، ص٣٤.
- حقائق علمية تكشف أوجه الاختلاف بين المرأة والرجل/http://arb3.maktoob.com/vb/arb34809 .
- الماء والهواء .. المرأة والرجل ! http://55a.net/vb/showthread.php?t=10907 .
- الاختلاف بين عقل الرجل وعقل المرأة .. معلومات وتساؤلات ، الدكتور جمال الخطيب http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=24127 .
- الفرق بين المرأة والرجل والتأثير النفسي لهما http://www.gustvoice.com/vb/showthread.php?t=17237 .
- كتاب "خلق المرأة والمقابلة بين طبائعها وطبائع الرجل "، هنري ماريون ـ يويب اميل زيدان، كلية الأداب جامعة باريس، دار الرائد ـ العربي ـ لبنان ـ بيروت ١٩١٨ الأولى الثانية ١٩٨٢.
- كتاب "الفرق بين الجنسين"، د.صلاح الراشد، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦م، ص ١٧-١٩، ٥٧-٧٣.

م	نوع الاختلاف	الرجل	المرأة
	الجسماني والعضوي		
١.	**القوة البدنية**	أقوى، حيث تزيد ٣٠%، والجزء العلوي في الرجل أقوى ٥٠% من المرأة	أضعف، حيث تقل ٣٠%، و٥٠% في الجزء السفلي
٢.	**الخلايا**	تحوي على الكروموسوم Y	تحوي الكروموسوم X وهو يزيد ١٤ ضعف عن كروموسوم الرجل Y
٣.	**نشاط الخلايا**	لو نشط عند الرجال بنفس النسبة عند النساء لهلك الرجال	عدد الموروثات الفاعلة من الكروموسوم x يزيد ١٤ ضعف
٤.	**الدماغ**	أكبر ب ١٥% وعدد الخلايا أكثر ب١٥%، كثافة الخلايا العصبية أكثر ب١٣%، حجم خلايا الدماغ يزيد ٣٠%، الشق الأيمن من قشرة الرجل أكثر سماكة من الشق الأيسر	لا يوجد فرق بين شقي الدماغ
٥.	**الوزن والطول والعظام**	- أكثر وزنا وأطول بـ ١٠ % - عظامه أقوى وأطول	- أقل وزنا وأقصر بـ ١٠% - تختلف عظامها عن عظام الرجل، مما يجعل رأسها أقصر ووجهها أعرض وذقنها أقل حدة
٦.	**النحافة والرشاقة**	أقل نحافة ورشاقة	أكثر نحافة ورشاقة
٧.	**وظائف فريدة**	لا توجد	الدورة الشهرية، الحمل، الإرضاع
٨.	**الجِلد**	أكثر خشونة وبه شعر كثير وأكثر تأثرا بالبرد	أكثر نعومة وقليل من الشعر، وأكثر مقاومة للبرد
٩.	**درجة الحرارة**	درجة حرارة جسم الرجل أعلى ب ٢.٨ درجة فهرينهايتية	درجة الحرارة الداخلية أعلى بنسبة ٠.٤ درجة فهرينهايتية
١٠	**كريات الدم الحمراء**	أكثر ٢٠%، تجعل عنده جَلَدَ في العمل	أقل ب٢٠%، فتجعلها تتعب بسرعة
١١	**حجم القلب**	أكبر ٢٥%	أصغر ٢٥%

١٢	**عدد ضربات القلب**	٤٢ خفقة في الدقيقة	٨٠ خفقة في الدقيقة
١٣	**ضغط الدم**	أكثر ١٠ مليمتر زئبق	أقل ١٠ مليمتر زئبق
١٤	**حجم الرئتين**	أكبر ٢٥-٣٠%	أقل ٢٥-٣٠%
١٥	**حجم الكبد**	أكبر ٢٠%	أصغر ٢٠%
١٦	**كتلة العضلات**	أكبر ٥٠%	أصغر ٥٠%
١٧	**قوة العضلات**	أكبر ٢٠%	أقل ٢٠%
١٨	**نسبة الدهون**	١٠%	٢٢%
١٩	**الغدد الصماء**	تفرز هرمونات تؤثر على التكوين الفسيولوجي، وتمنح الرجل قدرات تعينه على تحمل الأعباء الشاقة والأعمال الثقيلة	يختلف تركيب الجهاز العصبي لدى المرأة مما يجعلها أكثر رهافة في الحس وقدرةً على بذل المشاعر بصورة قوية
٢٠	**التنفس**	أقل سرعة لكنه أكثر امتصاصا للأكسجين وإطلاقا لثاني أكسيد الكربون	أسرع ولكنه أنقص كيماويا
٢١	**من أعراض البلوغ**	ظهور اللحية والشارب والاحتلام	بروز النهدين وبدء الحيض
	الفكري/العقلي/الذهني		
١.	**الرؤية**	يتسم بخاصية الرؤية الأمامية الطويلة فيدرك الكليات	تتسم بخاصية الرؤية الجانبية العريضة فتدرك التفصيليات أكثر
٢.	**مدى الرؤية**	الاهتمام أكثر بالمستقبل، ويتفوق في تقدير الأبعاد والمسافات	الاهتمام أكثر بالحلول اليومية، والجوانب الغريزية خاصة في البحث عن الأمان والرعاية
٣.	**التعبير عن العواطف**	عملية التفكير في العاطفة موجود في الجانب الأيمن، أما النطق ففي الأيسر فيصبح من الصعب جدا على الرجل التعبير عن عواطفه بالكلمات، بسبب أن عدد الألياف الواصلة بين الجانبين أقل	أقوى وأسرع لأن عدد الألياف التي تصل الجانبين أكثر (مثل خطوط الكهرباء والإنترنت)

٤.	**جوانب النبوغ في التفكير**	يستخدم الجانب الأيسر من مخه أكثر فيجيد لغة الأرقام، والتحليل، والترتيب، والقرارات، والتخطيط	تستخدم الجانب الأيمن من مخها أكثر فتنبغ في العاطفة، والخيال، والإبداع، والتناسق، والألحان، والذوق
٥.	**النضج العقلي**	ينضج الرجل بعد سنين طويلة حتى يصير عاقلا حكيما	تنمو مواهب المرأة فجأة وتنضج بسرعة عجيبة
٦.	**منهجية التفكير:**		
	(أ) الوصف الدقيق	أقل	أقوى
	(ب) التحليل العميق	أكثر قدرة على التحليل واستنباط الأسباب والعلل	أقل قدرة على التحليل العميق واستنباط الأسباب والعلل
	(ج) الحلول المناسبة	أكثر قدرة على اقتراح الحلول المناسبة	أكثر قدرة على تنفيذ الحلول المناسبة
٧.	**التفوق الدراسي**	أكثر تفوقا في الفيزياء والرياضيات	أكثر تفوقا في اللغات والتاريخ والجغرافيا
٨.	**التفوق في العلوم الشرعية**	انفرد الرجال في تاريخنا ــ في حدود ما أعلم ـ بالتصنيف والتأليف في علم أصول الفقه	شاركت المرأة في رواية الحديث، قال الحافظ الذهبي:"لم يُؤثر عن امرأة أنها كذبت في الحديث"
	الانفعالي /النفسي		
١.	**مدى الاعتماد على النفس أو الغير**	يحب أن يثبت نفسه بما ينتج	تحب أن تثبت نفسها بلعتمادها على الرجل وبلتعبير عن عاطفتها
٢.	**الطبائع**	الميل للعنف وحب المغامرة	يمتلكن طبائع أرق وألين
٣.	**استعمال الحواس الجسدية عند الكلام (Body language)**	أقل في استعمال الحواس عند التعبير عن انفعالاتهم	لديهن منطقة في المخ لاستعمال الحواس عند التعبير والانفعال
٤.	**الجهاز الحافي (Limbic System) المسئول عن العواطف والغرائز**	أصغر عند الرجل، فتؤثر عنده ملاحظة التغيرات العاطفية	أكبر عند المرأة مما يولد حساً مرهفاً بملاحظة التغيرات العاطفية بأي شكل لفظي أو حسي أو حركي.

٥.	**مدى الاستقلالية أو الارتباط بالآخر**	يميل للاستقلالية والسيطرة، فيحب أكثر المرأة المطيعة	تميل إلى أن يقدرها الرجل لذاتها لا لمكانتها الاجتماعية أو لإنجازها، وهي أكثر قدرة على الارتباط والرعاية، وتحتقر الرجل الذي تديره كيف تشاء
٦.	**المؤثرات النفسية**	العمل والكدح	العادة الشهرية، النفاس، الحمل، الولادة، الرضاعة
٧.	**الاحتياجات النفسية الأساسية**	أ. الثقة. ب. القبول. ج. التقدير. د.الإعجاب. ر. الإقرار. س. التشجيع.	أ. الاهتمام والرعاية. ب. الفهم. ج. الاحترام والكلمة الطيبة. د. الأولوية والأفضلية. ر. الإثبات. س.الرعاية والدعم.
٨.	**.الانفعالات وردود الأفعال**	أ - الضعف: يكرهه ولا يفرق بين العطف والتعاطف. ب -النصيحة: يعتبرها تحكُّما واتهاما. ج -العطاء: يعتبره إثباتللذات ويحبه. د - الحياة : ينظر إليها بطريقة هرمية رأسية،على أنها منافسة وتحدٍ وصراع للوصول إلى النجاح. ه - عند الضغوط: يود الراحة والهدوء. و - عند الخلاف: يود أن تُسمع تفسيراته ز -عند القلق: يحتاج إلى الخلوة.	أ - الضعف : تحبه وتريده ولا تمانع أن تعترف بضعفها. ب -النصيحة: تعتبرها مشاركة واهتماما ج -العطاء: تعتبره خسارة. د - الحياة : تنظر إليها بشكل أفقي على أنها صداقة، وتآزر ومحبة وعلاقات اجتماعية. ه - عند الضغوط : تود التحدث والاهتمام. و -عند الخلاف: تود أن تُفهم مشاعرها. ز -عند القلق: تحتاج إلى التحدث والتعبير عن مشاعرها.

٩.	**التفاعل مع الآلام**	يخطط للمشكلات والآلام قبل وقوعها	تخشى وتتوهم المشكلات والآلام قبل وقوعها
١٠.	**التضحية**	أقل عند الرجل، فيندر أن يتزوج رجل مبصر امرأة ضريرة أو عوراء أو مريضة مرضا مزمنا ليكفلها ويرعاها	أكثر تضحية إذا أحبت، فيكثر أن تتزوج المرأة بالضرير والأعور والمريض مرضا مزمنا
١١.	**اختلاط المشاعر**	إذا دخل الخوف على حب الرجل قتله	يندر أن تحب المرأة بدون خوف أو قلق أو جزع
١٢.	**سرعة الانفعال**	بطيء في الانفعال ويتدرج شيئا فشيئا	انفعالها فجائي ويولد قويا
١٣.	**دقة الشعور وشدة الإحساس**	بتحليل ٣آلاف رسالة من الرجال تبين : أ - ٨% إحساس ضعيف. ب - ٦٦% إحساس معتدل. ج - ٢٤% إحساس شديد. د - غير موجود.	بتحليل ٣ آلاف رسالة من النساء تبين: أ - ٢% إحساس ضعيف. ب - ١٧.٩% إحساس معتدل. ج - ٧٣.٦% إحساس شديد. د - ٦.٥% إحساس مرضي. أطلق "أوجست كونت" على النساء لقب: "الجنس الحساس".
١٤.	**الشجاعة**	تظهر أكثر خارج البيت لمواجهة الصعاب.	تظهر أكثر داخل بيتها.
١٥.	**الأمراض النفسية**	الكِبر والعجرفة والغطرسة.	العُجب والاختيال وحب الظهور.
١٦.	**الاهتمام في الهندام**	الهندام أمر تكميلي للرجل.	الهندام ضروري للمرأة، وكأنه عضو جديد للنساء!.
١٧.	**الإطراء والثناء**	يحب الإطراء على عقله أكثر من جسده.	تحب الإطراء على جسمها أكثر من عقلها
١٨.	**الغيرة**	يغار الرجل متى أحب	تغار المرأة من غير أن تحب
١٩.	**مقدار الحب**	الحب جزء من حياته.	الحب كل حياة المرأة
٢٠.	**رعاية الأبناء**	أكثر رعاية لأولاده من بعيد بالكفالة	أكثر رعاية للأولاد من قريب، بالعناية

		والتوجيه	والرعاية والاحتضان
٢١.	**حب الوطن**	أكثر حبا للوطن ككل.	أكثر حبا للأماكن التي فيها ذكريات .
٢٢.	**التأثر بالرؤيا أو اللمس**	أكثر تأثرا بما يراه.	أكثر تأثرا بما تلمسه.
٢٣.	**الخوف والحياء**	أقل.	أكثر.
٢٤.	**العدل والإحساس**	العدل فضيلة الرجل.	الإحساس فضيلة المرأة.
٢٥.	**شهوة الكلام**	أقل عند الرجل (بمعدل ٨ آلاف كلمة في اليوم) يقول "آراسموس": في مضمار براعة اللسان كل سبعة رجال يعادلون امرأة واحدة.	أكثر (بمعدل ١٨ ألف كلمة في اليوم)
٢٦.	**النهوض بالواجبات**	لا يتضح الواجب له جليا إلا استوعبه بعقله	لا يتضح الواجب لها جليا إلا إذا لامس قلبها
٢٧.	**الإقدام والإحجام**	أكثر جرأة وإقداما.	أقل إقداما وأكثر إحجاما .
٢٨.	**الإحساس بالجمال**	يؤثر الرجل النافع المفيد على الحسن الجميل	تؤثر الحسن الجميل على النافع المفيد.
٢٩.	**البكاء**	قليل البكاء حتى في النوازل	كثيرة البكاء حتى في التوافه

قراءة تحليلية وصفية

أولا: هذه الفروق السابقة هي الأصل، وترِ دُ عليها استثناءات تؤكد القاعدة، فإذا قلنا إن فريقا رياضيا تفوق على فريق آخر، فلا يعني هذا أن كل فرد من أفراد الفريق الأو ل يفوق كل فرد في الفريق الثاني، وهو نفس الأمر في الفوارق بين مدرستين، فتفوُّ ق مدرسة على أخرى لا يعني أن كل طالب فيها أفضل من كل طالب في الأخرى.

ثانيا: هذه الفروق الهائلة الجسمية والعقلية والنفسية توجب أن يكون ثمة اختلاف في المهام التي ترتكز على القدرات وال ملكات والاستعدادات الفطرية الربانية، فكيف نجعل للمرأة نفس مهام الرجل وهي أضعف بدنا وأقوى عاطفة، وهي تحيض وتحمل وترضع، والرجل يسعى ويكدح

ويكسب، لماذا لا يتكاملان وأحدهما يدرك الكليات والآخر لا تفوته التفصيليات؟ ! حيث يدرك أحده ما الأبعاد والمسافات الأمامية ويدرك الآخر الأبعاد العرضية ليصنعا معا الرؤية المستقبلية . لماذا لا يتكاملان وأحدهما أوعى في الاحتفاظ بالمعلومات والذكريات والآخر يحلل ويضع الحلول المناسبة؟!، إننا نتفق تماما مع ما يقوله الشيخ الشعراوي رحمه الله:"إذا انقسم الجنس إلى نوعين فلا بد أن توجد سمات ومجال للرجل، وأن توجد سمات ومجال للمرأة، ولو كان المجال واحدا لاكتفى الحق سبحانه أن يجعل الجنس واحدا".[٦] ، "إن الخطأ كل الخطأ أن يراد من المرأة أو يراد لها أن تأخذ موقفا من المواقف لم تتهيأ ولم تخلق له"[٧]، قال الشاعر:

هل السمع بعد العين يكفي مكانها ** أم العين بعد السمع تهدي كما يهدي**

"من يريد أن يسوي بين الرجل والمرأة في كل شيء كمن يريد أن يجعل العينين مثل الأذنين، والأذنين مثل العينين، ويجعل الليل والنهار شيئا واحدا، مظلما أو منيرا دائما"[٨].

ثالثا: أريد أن أزيد هذه الفروق في المهام وضوحا وجلاءً حتى لا يبقى دليل لدى الناعقين في الباطل، المقلدين للغرب، المنبطحين على الأرض، المتسولين للغير، الداخلين جحر الضب، المتمردين على الرب، بهذه الجدول التي أوردها من الواقع الغربي رغم إلحاحهم بشدة على مبدأ المساواة المطلقة في المقام والمهام، على النحو التالي[٩]:

عدد معلمي ومعلمات المرحلة الثانوية حسب الجنس والمادة التعليمية في اسكتلندا ٢٠٠٣م		
المادة التعليمية	عدد ونسبة المعلمين	عدد ونسبة المعلمات
اللغة الفرنسية	٢١٥ ٢٠%	٨٣٩ ٨٠%
الاقتصاد المنزلي	٣ ٠.٥%	٨٨٩ ٩٩.٥%
الفيزياء	٦٦١ ٧٨%	١٩٠ ٢٢%
التعليم المهني	٥٨٨ ٩١%	٥٥ ٩%

[٦] كتاب "المرأة كما عرضها الله" ، للشيخ محمد متولي الشعراوي، مكتبة القرآن:ص٧.
[٧] الكتاب السابق، ص٢٣ .
[٨] الكتاب السابق ، ص٣٥ ـ ٣٦ .
[٩] http://www.scotland.gov.uk/Publications/2005/11/11135710/57123

هذا الجدول في اسكتلندا لا يختلف كثيرا عن النسب الموجودة في أوربا [١٠]، وأمريكا واستراليا، حيث نرى تفوقا للنساء في الوظائف المتعلقة والمرتبطة بفطرتها وطبيعتها وهي تعلُّم وتعليم اللغات والاقتصاد المنزلي بينما تتضاعف القدرة لدى الرجال في تعلم وتعليم مواد الفيزياء والرياضيات، ويزيد هذا الأمر تأكيدا ما نراه رأي العين في المجتمعات الغربية كلها من احتفاظ الرجال بأكثر من ٩٠% بالمواقع العليا مثل رئاسة الدول والحكومات والوزارات والشرطات والمصانع والجيوش وهذا المجتمع نفسه يؤكد أن دور المرأة فيما يتعلق بحضانة الأولاد والتمريض والسكرتارية أكثر تفوقا من الرجل أداءً، وتحتفظ بنسب عالية توظيفاً، وإليك هذا المثال من المجتمع الأمريكي[١١]:

جدول معدلات ارتفاع وظائف المرأة على الرجل في الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٩٧-٢٠٠٦م)

الوظيفة	نسبة النساء (%)	نسبة الرجال (%)
السكرتارية	96.7	3.3
حضانة الأطفال	94.6	5.4
صالونات التجميل	92.9	7.1
التمريض	91.7	8.3
مدقق حسابات	90.3	9.7

هذه هي المرأة أسبق في وظائف السكرتارية وحضانة الأطفال والتمريض وصالونات التجميل وتدقيق الحسابات بنسبة ترتفع عن ٩٠% . على الجانب الآخر نجد عدد الذين حصلوا على بكالوريوس في الهندسة حوالي ١٣ألف من النساء فقط، مقابل حوالي ٥٣ ألف من الرجال، وحصل

[١٠] راجع: "معارك قيس وليلى"، دراسة علمية مفصلة عن الفروق البيولوجية والاجتماعية بين الرجل والمرأة، ألان وبربارة ، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، ص٩٨.

[١١] http://womeninbusiness.about.com/od/challengeswomenface/a/jobswomendom.htm

٧ آلاف من النساء على درجة الماجستير و٢٦ ألف من الرجال، وحوالي ١٠٠٠ من النساء على درجة الدكتوراه، بينما ٥٠٠٠ من الرجال قد حصلوا على درجة الدكتوراه في الهندسة[١٢].

مما يدل على أن الدعاوى الصحفية والمواد القانونية لم تُلغِ هذه الفروق الجوهرية الطبيعية والفطرية بين الرجل والمرأة، وهاهي الولايات المتحدة بعد أكثر من قرنين لم تظفر امرأة برئاسة الولايات المتحدة الأميركية، ورغم محاولات السيدة "هيليري كلينتون " مستفيدة من مكانة زوجها وبياض بشرتها إلا أنها رسبت بجدارة أمام الأمريكي الأسود "أوباما"، فعن أي مساواة يتحدثون وهم الذين لم يعطوا المرأة حقها في مجرد الانتخاب، إلا بعد أوائل القرن العشرين، وجهاد مرير، وخوف على أصوات الناخبين والناخبات، فحرك منطق الخوف، وجلب النفع إعطاء المرأة بعض حقوقها كما يذكر الفيلسوف الفرنسي "هنري ماريون" في فصل مليء بالأسى تحت عنوان: "تاريخ الحركة النسائية في العصر الحديث" من كتابه "خُلق المرأة"[١٣] وقد عرض لذلك في فرنسا وإنجلترا والمستعمرات الإنجليزية والدول الإسكندنافية والولايات المتحدة المريكية وألمانيا والنمسا وروسيا، بما يدل أن الإسلام وحده الذي أنصف المرأة سلفا دون مطالبة ومغالبة امرأة واحدة على أنه حق وليس منحة من أحدٍ أو جهة.

رابعا: تدل الإحصاءات العلمية أن هذا الاختلاف الواقعي يتجاوز المهام النا فعة إلى الجرائم الهابطة حيث تدلنا هذه الإحصاءات إلى اختلاف جوهري بين الرجال والنساء في نوع ونسبة الجرائم، يبدو ذلك من الإحصاءات التالية:

- **نسبة الجرائم بين الرجال والنساء في المملكة المتحدة عام ٢٠٠٦م:**

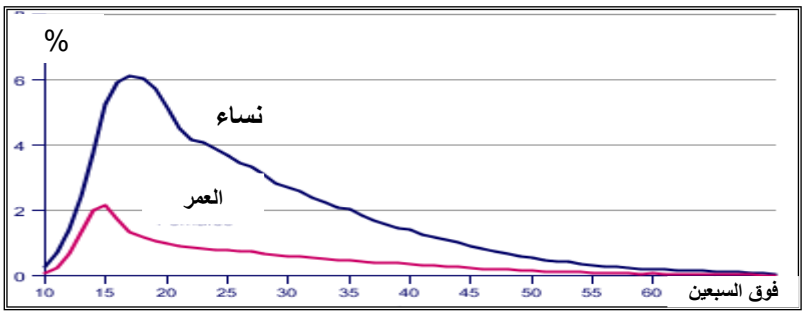

[١٢] لمزيد من المعلومات راجع http://engineering.curiouscatblog.net/2008/05/26/women-choosing-other-fields-over-engineering-and-math/.

[١٣] "خلق المرأة والمقابلة بين طبائعها وطبايع الرجل"، هنري ماريون ـ يويب اميل زيدان ، كلية الأداب جامعة باريس ، دار الرائد ـ العربي ـ لبنان ـ بيروت ١٩١٨م الطبعة الأولى، الطبعة الثانية ١٩٨٢م، ص١٠٩ ـ ١١٥ .

- وإذا أردنا أن نعرف نو عية الجرائم واختلاف نسب ال رجال عن النساء في ارتكابها فيمكننا مطالعة الجدول التوضيحي التالي[١٤]:

جدول نوعية الجرائم في بريطانيا بالنسبة لنوع مرتكبها		
الجرائم	**عدد النساء**	**عدد الرجال**
تجارة المخدرات	10,000	70,000
العنف	18,000	80,000
السرقة وتجارة البضائع المسروقة	50,000	120,000

هذه الإحصاءات ناطقة بذاتها على حجم الاختلاف بين الجنسين، أن الرجال أكثر جرأة وإقداما، والمرأة أكثر حياءً وأقل إحجاما، ولذا ترتفع نسبة الجرائم كمًا وكيفلًفي الرجال، ولا يخفى على من يدرسون علم الإجرام أن نسبة القتل بالوسائل العنيفة (الضرب، الطلقات النارية، الآلا ت الحادة، الخ ..) من خصائص الرجال، وإذا قتلت المرأة فتميل إلى استعمال السم وأ غلب جرائم ها هي الاحتيال وحيازة الأموال المسروقة والبغاء[١٥].

خامسا: إذا أردنا أن نقطع الشك باليقين بالأدلة العقلية البحتة فإن تكامل الزوجين الذكر والأنثى ه و أساس الحياة كلها، يبدو ذلك في الأمثلة القطعية التالية:

(أ) لا يمكن أن نحصل على الكهرباء إلا بالتماس بين السالب والموجب، فإن عزلت أحدهما عن الآخر، أو وصلت سالبا بسالب أو موجبا بموجب لن تنبعث الكهرباء بل ربما يحدث تفجيرًا أو أضرارًا بالغة، تماما كما يتوقع من إشاعة الجنس المثلي أو الشذوذ الجنسي.

(ب) لا يمكن أن تتجاذب المواد المغناطيسية الموجبة إلا إلى جسم آخر يحمل شحنة سالبة، فإذا وضعت الموجب مع الموجب أو السالب مع السالب فيحدث التنافر بينهما.

(ج) تتكون الذرة في أية مادة من ثلاثة أجزاء:

- بروتون، ويكون في نواة الذرة، ويكون دائما مشحونًا بشحنة موجبة.
- النيترون، ويكون في نواة الذرة، ويكون دائما مشحونًا بشحنة متعادلة.

---

[١٤] http://www.statistics.gov.uk/cci/nugget.asp?id=1661

[١٥] http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=18990

- الإلكترون ، ويكون في مسارات مختلفة تدور حول النواة ، ويكون دائما مشحونً ا بشحنة سالبة . وهذه العناصر السالبة والموجبة تتكامل حيث يدور الإلكترون حول البروتون والنيوترون برابط ذري وفق نظام دق يق لا يتخلف ولا في حالة واحدة . وهكذا تتكون كل المواد في الكون، من جسم الإنسان إلى النجوم البعيدة، من نوعين من الجسيمات الدقيقة هما الإلكترونات والكواركات. وتكوِّن الكواركات بدورها جسيمات أكبر، تنقسم إلى نوعين هما البروتونات والنيوترونات. وللإلكترونات والكواركات خاصية تسمى الشحنة الكهربائية، حيث تحمل الإلكترونات الشحنة السالبة، بينما تحمل الكواركات إما الشحنات السالبة أو الشحنات الموجبة. وتساوي الشحنة الموجبة على البروتون الشحنة السالبة على الإلكترون، والشحنات المتضادة، أو غير المتشابهة ـ السالبة والموجبة ـ تتجاذب، بينما تتنافر الشحنات المتشابهة ـ الموجبة والموجبة أو السالبة والسالبة[١٦].

(د) يحدث يومياً في مختلف أرجاء العالم حوالي ٤٤٠٠٠ عاصفة رعدية و ٨,٠٠٠,٠٠٠ وميض برقي .التفريغ الكهربائي البرقي هو انتقال الشحنة الكهربائية الموجبة أو السالبة من منطقة في السحابة إلى منطقة أخرى أو بين السحابة والأرض[١٧].

(ه) في عالم النبات تعرف الذكورة والأنوثة في الأشجار والنباتات والفطريات والبكتيريا بحيث لا يمكن أن تستمر الحياة بدون نبات، ولا نبات بغير الزوجين الذكر والأنثى [١٨]، إذا كان هذا هو ناموس الكون ونظام الحياة الذي عبَّر عنه القرآن: { وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى} [النجم : ٤٥]، وقوله تعالى: { سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} [يس : ٣٦].

وعليه يجب التسليم بالتساوي في المقام والتك امل في المهام بين الزوجين، وعدم إباحة الشذوذ الجنسي، أو استغناء جنس عن آخر؛ فهذا ـ قطعًا ـ عكس الناموس الرباني.

أحسب أن لغة التأسيس هنا التي اعتمدت على دليل الحس والعقل والإحصاءات والأبحاث العلمية توصل كل منصف إلى صحة النقل عن الوحي الرباني قرآنا وسنة كما قال تعالى : {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى } [آل عمران : ٣٦].

---

١٦ http://www.phys4arab.net/vb/showthread.php?t=25582&highlight=%C7%E1%D4%CD%E4%C7%CA+%C7%E1%DF%E5%D1%E6%D3%CA%C7%CA%ED%DF%ED%C9

١٧ http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A7%D9%87

١٨ مقالة "آيات معجزات من القرآن الكريم وعالم النبات" للأستاذ الدكتور نظمى خليل أبو العطا على موقعه ، http://spanishsord.multiply.com/journal/item/52 ومقالته "تسع معان للزوجية في القرآن الكريم وعالم النبات"، http://www.55a.net/firas/arabic/?page=show_det&id=1753&select_page=23

سادسا: يأسف الإنسان كثيرا عندما يضطر أن يثبت طلوع الشمس في رابعة النهار، والدافع لذلك ليس لونًا من الاجترار ؛ وإنما إذا كثر العميان فإنك يجب أن تقدم لهم من الأدلة العقلية ما يجعلهم يوقنون أن هناك شمسًا تبزغ في كل صباح، وأن هناك قمرا يظهر كل ليلة، وهما متكاملان تكامل الليل والنهار، الهواء والماء، الغذاء والكساء، الكسب والتعلم، جلب النفع ودفع المضرة، كل هذا يساعد في إكمال وتوازن نظام الحياة، كما قال تعالى: {الذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ} [السجدة : ٧] ، وقال تعالى: {اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ*عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} [الرعد:٨-٩] فأبى سبحانه إلا أن يكون وحده كما قال: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ *وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَد}[الإخلاص:١-٤]، أما غيره فكل شيء أزواج، كما قال سبحانه : { وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات : ٤٩] ، والذي أعجب له أن دعاة المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة لا يمكن - إن أنكروا حقائق القرآن والسنة - أن ينكروا هذا الاختلاف المرئي الذي نراه بأعيننا، نسمعه بآذاننا، نحسه بأيدينا أن هناك اختلافاً بين الرجل والمرأة. وأنه مهما كثر الجدل وامتد الأجل سيبقى الرجل رجلا والمرأة امرأ ة، وفي كل بلاد العالم حتى الآن ت وجد قوانين غير مكتوبة (unwritten rules) فحمامات النساء غير حمامات الرجال، فلا يليق ولا يقبل من أحد أن يدخل في مكان الآخر . ولذا أستطيع أن أقول لكل من فيه مسكة من عقل، أو مسحة من إن صاف، إن الحقيقة الربانية في هذا هي قوله تعالى: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى } [آل عمران : ٣٦].

سابعا: أعتقد لو أن هذا النص القرآني السابق سيق لبعض الناس على أنه نص لأحد الفلاسفة أو الباحثين أو الدارسين بناء على الحقائق السابقة لصدقها على الفور، لكن هؤلاء يرفضون بشدة هذه الحقيقة فقط لأنها وحي من السماء، كما قال سبحانه: { وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [الزمر : ٤٥]، فخصومتنا مع هؤلاء هي: هل العقل كافٍ شافٍ في إحداث توازن وإيجاد نظام عادل بين الرجال والنساء، الأغنياء والفقراء، الأقوياء والضعفاء، الحكام والمحكومين؟ والذي أقطع به من الاستقراء أن هذا مستحيل لأمرين أساسيين:

(أ) محدودية العقل تماما كما لا يستطيع الإنسان أن يرى خلفه، ولا أن يعرف ما وراء الحجرة التي يجلس فيها، وإن سلطت الكاميرا على جزء فتغيب عن أجزاء.

(ب) أن الأحكام العقلية يغلب عليها أن تتشبع بهوى صاحبها أو أصحابها، فعندما يحكم الرجال يظلمون النساء، وإذا تحكمت النساء هضمت الرجال، وإذا حكم الأغنياء أنهكوا الفقراء، وإذا حكم الفقراء أضروا بالأغنياء.

أما الأحكام الربانية فهي نبع صاف، ودواء شافٍ، وغذاء كافً ، وتوازن كامل ؛ لأنها صادرة من الحكيم العليم العدل البر الرحيم، القائل:{ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} [النحل:١٧].

الفصل الثاني: خطاب الترسيخ للمقام والمهام

المرأة كما أرادها الله تعالى في كتابه الكريم

ألتزم بمنهجية في كل قضية وهي أنني كلما ألحت عليَّ فكرة أتفرغ لقراءة القرآن كله متتبعا هذه الفكرة فقط، وأقوم بختمة كاملة لا يشغلني غير هذا الأمر، وقد أخذت هذا النهج حيث إنني وجدت أن البحث المعجمي لا يكفي، بل يؤدي إلى أخطاء علمية فادحة لا يصلح معها ال بحث العلم ي الدقيق ، وإن كانت تسعف الإنسان في خطبة أو درس أو خاطرة، لكنها غير منهجية ولا دقيقة للأسباب الرئيسية التالية:

١. انتزاع الكلمة من سياقها مما قد يؤثر قطعا على فهم المراد من هذه الكلمة، ومن الأمثلة على ذلك:

(أ) أن البحث في قضية المرأة كزوجة بالطريق المعجمي الخالص يمكن أن يدخل الإنسان فيها كلمة أزواج الواردة في قوله تعالى: { ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ } [الأنعام : ١٤٣] ، رغم أنها تتحدث عن الزوجية في الأنعام، في الضأن والمعز والإبل والبقر.

(ب) وكذلك كلمة الحمل إذا أغفلنا السياق فسنختلط الأوراق، فلا يمكن أن نفهم معنى كلمة حمل إلا من خلال السياق، مثل قوله تعالى: { اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ }[الرعد : ٨] ، والآية : { وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ }[النحل : ٧] ، وقوله تعالى : {وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً } [يوسف : ٣٦] ، فحمل الأنثى غير حمل الأنعام، غير الرجل الذي يحمل فوق رأسه خبزا.

٢. أن القضية يمكن أن يجري تناولها بألفاظ وأساليب تختلف عن الألفاظ التي يتوقعها الباحث ، وعلى سبيل المثال إذا أردنا أن نبحث في فكرة واحدة ـ كما فعلتُ ـ في معنى الإنفاق في سبيل الله، فإننا قد نبحث معجميا بالمواد التالية : (أنفق، أعطى، تصدق، زكاة، أقرض، بخل، أمسك،...)، كل هذه الألفاظ لو اجتهدنا في حصرها فإننا سنجد موضعا مثل قصة الأبناء الذين تعاهدوا أن يغيروا منهجية أبيهم في البذل عند الحصاد فأقسموا أن يجمعوا الثمار ولايستثنون فقيرا ولا مسكينا، فصارت حديقتهم كالصريم، كما جاء في سورة القلم، هذه القصة كلها لن نجدها في البحث المعجمي، وإنما نجدها مع ختمة التدبر لكل فكرة موضع بحث وتمحيص، وسوف يبدو ذلك جليا بإذن الله في بحثنا، وأن القراءة المتأنية لكل آية بحثا عن صورة المرأة كما وصفها وأنزلها الله في كتابه.

٣. أن اللفظ نفسه قد يستعمل لأكثر من معنى وهو ما يسمى المشترك اللفظي فإذا أردنا أن نبحث عن الأمومة في القرآن الكريم فلن يدخل فيها قطعا قوله تعالى : {فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ}[القارعة : ٩] ،

والمقصد بأمه هنا رأسه، حيثُ يُكَبُّ الكافر على وجهه في نار جهنم والعياذ بالله، وأيضا قوله تعالى: { حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً }[القصص : ٥٩] ، ليست ذات صلة بالأمومة، وكذلك "أم القرى" و"أم الكتاب".

٤. أن من جمال اللغة العربية التي بها نزل القرآن استعمال الضمير عطفا على لفظ سابق اختصارا، وإذكاءً للعقول أن تظل حاضرة مستنبطة إلى أي شيء يعود الضمير، فعلى سبيل المثال لا الحصر، جاء في القرآن لفظ "زوج" بين الرجال والنساء فقط (٦٩) مرة، على حين جاءت الضمائر عائدة على الزوجية أكثر من مائتي مرة، كما وردت مادة الطلاق في القرآن (١٥) مرة، على حين ورد الضمير عائدا على الطلاق أو المطلقة (٥٦) مرة على الأقل . وبشكل عام ورد الضمير الذي يشير إلى المرأة إجمالا في القرآن أكثر من (٦٠٠) مرة، على حين لم يزد عن (٤٧٥) مرة في النص الجلي.

ومن هنا أحب أن أؤكد على إخواني الباحثين والباحثات ألا يتعجلوا في البحث وأن يستسهلوا النظر باللجوء إلى المعاجم المفهرسة للقرآن أو السنة أو غيرها سواء عن طريق الكتب أو الشرائط الممغنطة التي غمرتنا الآن، فذلك قطعا يساعد كثيرا لكنه ليس ش افيا ولا كافيا ولا عادلا للأسباب السابقة.

إن صلاحية هذه المنهجية "ختمة تدبر" لفكرة واحدة موضع بحث علمي أو لتتبع فكرة واحدة في القرآن كله مرهونة بأن يدخل الإنسان بقلب مسلم صادق مع ربه، يطرح كل ما ورثه من أعراف وما درسه من أفكار وما نشأ عليه من ثوابت، وما تشبع به من هوى، وما تشربه من كثرة الاجترار، ليدخل إلى القرآن خالي الوفاض تاركًا للقرآن الكريم أن ينقش بحروف من نور الصورة الحقيقة لتتحول الصورة إلى عقيدة ، وتصير في حسه ووجدانه وعقله وقلبه وذرات جسمه ونظرات عينيه وبنات عقله هي المعايير الكبرى ، وهي المرجعية ا لأولى ثم بعد هذا الترتيب الدقيق يعود على نفسه أولا، ويكرُّ على مجتمعه ثانيا؛ لكي يحملهم بالحكمة والموعظة الحسنة والدعوة الرشيدة لينتقلوا جميعا معه من المعايير الأرضية والأهواء الفردية والأعراف الاجتماعية إلى أن نعيد صياغة أنفسنا ومجتمعنا ل تتحول إلى الصبغة الربانية، والشرعة الإسلامية، والسنة النبوية، ولن يتم ذلك إلا عبر مسارين ضروريين متكاملين لا يصلح أحدهما دون الآخر، وهما العلم الذي يعالج الشبهات، والمجاهدة التي تعالج الشهوات . ولكي ننتقل من التنظير المنهجي إلى التطبيق الواقعي على هذه القضية السيارة وهي ق ضية المرأة، فلندخل فورا إلى رحبة القرآن، ومنحة الرحمن، لنعيد صياغة عقل الإنسان وفق مراد الله لا الهوى أو الشيطان.

وبالاستقراء الدقيق والتدبر العميق نجد أن المرأة في القرآن الكريم قد ورد ذكرها بألفاظ وأساليب عديدة يبدو بيانه في حدود ما بذلت فيه قصارى جهدي، واستفراغ وسعي في استقراء كل ما يتصل بموضوع المرأة في القرآن الكريم، لكن هذا الاجتهاد لا يعني أن هذه الأرقام قطعية وإنما تقريبية، وإن كانت لا تبعد عن هذه الأرقام كثيرا- بإذن الله -.

وفي الجدول التالي نتائج هذا الاستقراء

م	اللفظ ومشتقاته	عدد المرات	م	اللفظ ومشتقاته	عدد المرات
النص الجلي					
(١)	امرأة	٢٦	(٢)	أيامى	١
(٣)	أنثى	٣٠	(٤)	صاحبة	٤
(٥)	نساء	٥٩	(٦)	حلائل	١
(٧)	السيدة مريم	٣٤	(٨)	ربائبكم	١
(٩)	أم	٢٧	(١٠)	الأرحام (رحم المرأة)	٦
(١١)	والدة	٤	(١٢)	المحيض	٤
(١٣)	بنت	١٩	(١٤)	الحمل	٨
(١٥)	أخت	١٤	(١٦)	الرضاعة	١٢
(١٧)	عمة	٣	(١٨)	التي	٥
(١٩)	خالة	٣	(٢٠)	اللاتي	١٠
(٢١)	فتيات	٢	(٢٢)	اللائي	٤
(٢٣)	إماء، ملكت أيمانكم	٢ ، ١٥	(٢٤)	صفات متعددة للمرأة	٨١
مجموع النص الجلي = ٤٧٥					
التضمين الجلي					
م	**اللفظ ومشتقاته**	**عدد المرات**	**م**	**اللفظ ومشتقاته**	**عدد المرات**
(٢٥)	زوج	٦٩	(٢٦)	طلاق	١٥

(٢٧)	النكاح	٢٣	(٢٨)	ذو القربى	١٦
(٢٩)	الوالدين	٢٣	(٣٠)	الأقربون	٧
(٣١)	الآباء	٦٨	(٣٢)	الأرحام (الأقارب)	٥
(٣٣)	الذرية	٣٢	(٣٤)	اليتيم	٢٠
(٣٥)	الولد	٤٤	(٣٦)	الأهل	٧٢
مجموع التضمين الجلي = ٣٩٤					
التضمين الخفي					
(٣٧)	حروف وضمائر تشير إلى المرأة بشكل عام	٢٨٠	(٣٨)	ضمائر تشير إلى السيدة مريم	٧٥
(٣٩)	حروف وضمائر تشير إلى الزوجة	٢٠٨	(٤٠)	حروف وضمائر تشير إلى المطلقة	٥٦
مجموع التضمين الخفي = ٦١٩					
المجموع الكلي للمرأة في القرآن = ١٣٧٨					

قراءة وصفية تحليلية

أولا: من الأمانة العلمية أن أشير إلى أننا نجد المرأة في نصوص القرآن في ثلاثة أنواع من الخطاب الرباني:

١. **التضمين العام**: وهو الذي تدخل فيه المرأة مع الرجل في أي خطاب قرآني ويعبر عنه باللفظ أن النساء مستورات في الرجال في الخطاب الرباني، فإذا قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً } [النساء : ١] ، توجه الخطاب قطعا إلى الرجل والمرأة، وإذا قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } [الأحزاب : ٧٠] فلا يشك أحد أن الخطاب متوجه لهما معا، وهذه تخدم قطعا قضية المقام حيث يتساوى الرجال والنساء في هذا التكليف الرباني، إلا ما ورد تخصيصه بما يتناسب مع المهام، ومن

الأمثلة قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } [الجمعة : ٩]، هذا النداء موجه على سبيل الوجوب للرجال لكن المرأة لا جمعة عليها، إذ قد لا تستطيع بتوك أولادها أو والديها أحيانا، فكان تخفيفا من الله حيث ترك لها الحق في الخروج لصلاة الجمعة دون أن يفرض عليها، لكن هذه الأحكام هي استثناء من الأصل العام أن الرجل والمرأة سواء في الخطاب الرباني، وأن المرأة مشمولة مضمونة في كل خطاب عام للإنسان، سواء ورد في القرآن أو السنة.

وهذا الجانب المتضمن بشكل عام لا يمكن إيراده هنا لكنه يؤكد على هذا المعنى الإنساني في القرآن الذي خاطب الرجل والمرأة كإنسان يحمل صبغتي التشريف والتكليف في الوقت نفسه، فمن التشريف قوله تعالى : { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} [الإسراء : ٧٠] ، ومنه أيضا قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات : ١٣]، ومن التكليف قوله تعالى : { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}[البقرة : ١٧٧].

٢. **النص الجلي** ، وهو أوضح صور التعبير عن المرأة كما سبق، حيث يرد بالألفاظ التالية ومشتقاتها: امرأة، أنثى، نساء، السيدة مريم، أم، والدة، بنت، أخت، عمة، خالة، فتيات، إماء، ملكت أيمانكم، أيامي، صاحبة، حلائل، ربائبكم، الأرحام (رحم المرأة)، المحيض، الحمل، الرضاعة، التي، اللاتي، اللائي، صفات للمرأة، وهذه قد وردت ٤٧٥ تقريبا.

٣. **التضمين الجلي**، لا يشك عارف باللغة أن الأمر ببر الوالدين يعني الأب والأم وأن لفظ الأولاد يعني الذكور والإناث، يقول الله تعالى: { يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ } [النساء : ١١] ، وقوله تعالى: { وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ }، سواء كان ذكرا أو أنثى، وقوله تعالى: { إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ }[النساء : ١٧٦] ، ومن المتفق عليه أن الأخت لا تأخذ النصف إلا إذا لم يوجد فرع وارث من الأبناء أو البنات مثل الابن والبنت، وابن الابن وبنت الابن. ومن هذه الألفاظ أيضا كلمة اليتامى التي فيها تضمين جلي، كلمة "اليتيم" وتعني من فقد أباه وأمه أو أحدهما سواء كان ولدًا أو بنتًا بل قد يردِ مقصورًا على البنت، كما في قوله تعالى : { وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ } [النساء : ٣] ، ومنه أيضا

قوله تعالى: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللَّاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ } [النساء : ١٢٧] ، ومن التضمين الجلي أيضا ألفاظ : زوج، النكاح، الوالدين، الآباء، الذرية، الولد، طلاق، ذو القربى، الأقربون، الأرحام (الأقارب)، اليتيم، الأهل، فمن ذا الذي يشك أن البر والصلة والإحسان واجب للأرحام والأقربين رجالا ونساء؟!. والجدير بالذكر أن هذا التضمين الجلي عن المرأة قد ورد في القرآن حوالي ٣٩٤ مرة .

٤. **التضمين الخفي:** هو أحد ثمرات الاستقراء لكل آيات القرآن الكريم، فسنجد أن هناك آيات بكاملها لا يوجد فيها لفظ واحد مما يدخل في النص أو التضمين، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأحزاب: { تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً} [الأحزاب : ٥١] ، ومنه ما يأتي كثيرا وفيرا عطفا على كلمة في أول الآية، ومنه قوله تعالى: {قُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور : ٣١] ، فـ "نون" النسوة أو الضمائر هنا تكررت ٢٤ مرة في آية واحدة، عطفا على كلمة المؤمنات، فهل يجوز هذا الإهمال لهذا الكم الوفير من الحروف أو الضمائر؟ ، وهي إما فاعل حقيقي للأفعال في ألفاظ مثل: "يغضضن"، "يحفظن"، "يبدين"، الخ... أو مضاف إليه في ألفاظ مثل: "أبصارهن"، "فرجهن"، "خمرهن"، "زينتهن"، "آبائهن"، الخ ...، وقد ورد في القرآن التضمين الخفي مشيرا إلى المرأة حوالي ٦١٩ مرة .

ثانيا: اقتصرت في هذا الجدول على إيراد وتعداد المواضع التي تشير إلى المرأة رغم أن اللفظ قد يشير إلى أكثر من ذلك، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١. كلمة "أهل"، لم أعتبر هذه الكلمة إلا إذا كانت تشير نصًا إلى المرأة سواء كانت زوجة ، مثل قوله تعالى: {إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ } [النمل : ٧] ، أو كانت تعني المرأة كعضو في الأسرة، كقوله تعالى : {شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا } [الفتح : ١١] ، وقوله تعالى : { إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي } [هود : ٤٥] أي من أسرتي، وقوله تعالى : {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ } [المائدة : ٨٩] ، وقد تكون المرأة

جزءًا من العشيرة أو الأسرة الكبيرة أو المجتمع، كما في قوله تعالى: { رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا } [النساء : ٧٥] ، واستبعدت ما جاء بمعنى الجماع ة أو الفئة مثل يا أهل الكتاب وأهل الذكر، وكذا "أهل" بمعنى صاحب أو أصحاب مثل أهل التقوى أو أهل الكهف.

٢. حذفت أيضا من ألفاظ التضمين الجلي ما يشير إلى أن الكلمة مخصصة بالسياق للذكر، مثل كلمة "ولد" مخصصة بالسياق للذكر دون الأنثى، مثل في قوله تعالى: { وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً} [مريم : ١٥] ، لأنها سيقت عن سيدنا يحيى υ، وكذلك في قوله تعالى: { وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً} [مريم : ٣٣] ، أن هذا من قول سيدنا عيسى υ.

ثالثا: وإذا كانت المرأة مشمولة في الخطاب العام ومنصوص عليها نصا جليا أو تضمينا جليا أو خفيا بما يزيد على (١٣٧٨)، فإن هذا يدل بجلاء على هذه العناية الإلهية الفائقة بالنساء والمرأة، ونحن في الواقع نتحدى أن يوجد كتاب يمثل مرجعية لأية أُمة أو حضارة فيه مثل هذا الا هتمام الكبير، والإلحاح الكثير مما يدل على الوزن الثقيل لمكانة المرأة في الإسلام بما لا يجوز معه أن نقبل مزايدة من المتحللين والمتآمرين الذين يريدون أن يخدعوا المرأة والرجل والمجتمع بأنهم حماة المرأة المدافعون عن حقوقها، المناضلون عن مكانتها، الساعون إلى التمكين لها، كما لا يقبل في الوقت نفسه هذا المستوى من الإهمال والتحجر في التعامل من بعض التيارات والقبائل الإسلامية، وتعزو ذلك ـ جهلا ـ إلى القرآن الكريم والسنة النبوية.

رابعا: يزيد هذا الأمر وضوحا هذه الصفات الرائعة التي وصفت بها المرأة في القرآن الكريم وقد جاءت في (٨١) مرة أوصاف عديدة في المرأة القليل منها سلبي، والكثير منها إيجابي، والدليل الإحصائي على ذلك أن هذه الأوصاف السلبية للمرأة لا تتجاوز (١١) موضعا في القرآن الكريم كله، مثل: متبرجات، مسافحات، مشركات، منافقات، الخبيثات، السارقة، حمالة الحطب، الخوالف، الزانية، الخ...، أما الصورة الرائعة والناصعة فهي التي تنطق بها آيات القرآن في (٧٠) موضعا على الأقل، وأهم هذه الصفات : المؤمنات، المحصنات، الطيبات، الصالحات، الصابرات، الحافظات لفر وجهن، الخاشعات، المتصدقات، قانتات، حافظات للغيب، صدِّيقة ، تمشي على استحياء، عابدات، مهاجرات، تائبات، مطهرة، حرث لكم، الخ ..، وهي مسألة تقطع دابر الخلاف لكل منصف أن صورة المرأة المتكررة هي الصورة الراقية، ومن واقعية القرآن وصف حقائق المجتمع حيث لا يخلو أي مجتمع من الخارجين على القانون والأعراف والأخلاق.

خامسا: ما لا يحب أن يسمعه المتحاملون والعلمانيون والزاحفون وراء الغرب دون عقل يفكر أو قلب يخشى لقاء الله، هو أن الصورة السائدة للمرأة في القرآن هي أنها زوجة وأم، وليست كادحة، عاملة في الشركات، في الزراعة، والصناعة، والإدارة، ومن الأدلة القطعية على ذلك ما يلي:

أ. أول ذكر للمرأة في ترتيب القرآن جاء بها زوجة مطهرة في الجنة، ثم أول ذكر للمرأة في الدنيا قوله تعالى: { اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ }[البقرة : ٣٥]، وآخر ذكر للمرأة لزوجة أبي لهب، وهي وإن كانت معه في النار، لكنها كانت زوجة.

ب. الزوجية ومتعلقاتها هي الصورة الغالبة عددا ومعنى، حيث ورد لفظ "زوج" (٦٩) مرة بنص مباشر، بالإضافة إلى ضمائر تشير إلي الزواج تزيد عن (٢٠٠) مرة، وورد النكاح (٢٣) مرة، وهذا يؤدي إلى وجود أبناء، فوردت كلمة أبناء حوالي (٤٤) مرة، والذرية (٣٢) مرة، ويتحول الأزواج إلى آباء وأمهات، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم أكثر من (٩٠) مرة، ولفظ الأم أتى (٢٧) مرة، والوالدة (٤) مرات، ويرد لفظ المرأة كثيرا بمعنى الزوجة ، مثل قوله تعالى: {وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [آل عمران : ٤٠] ، وقوله تعالى: { وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ }[يوسف : ٢١] أي لزوجته، كما أن لفظ النساء يأتي كثيرا بمعنى الزوجة، مثل قوله تعالى: { نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ } [البقرة : ٢٢٣] ، وقوله تعالى: {أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء}[النساء : ٤٣] ، ويضاف إلى هذا ما جاء متعلقا بما يستكن بالأرحام وما تحمل من أنثى والرضاعة والحيض، حتى الطلاق هو دليل على وجود زوجية سابقة، بما يجعلنا نقول لكل من أراد أن يكون منصفا للمرأة أن يوفر لها إطارًا أسريًا آمنا، من أب يحسن رعايتها، وزوج يحسن عشرتها، وولد يحسن برها، وأخ يحسن حمايتها. هذه هي الصورة التي رسمها القرآن الكريم للمرأة لإصلاح الرجل والمرأة والطفولة والمجتمع كله.

ج - هذه الصورة المتكررة الذائعة عن المرأة كزوجة وأم ومربية وليست موظفة خارج المنزل ، التي تزيد عن (٩٠٠) موضع في القرآن الكريم يقابلها حالات شبه استثنائية تؤكد القاعدة يمكن حصرها في مواضع ثلاثة هي:

١) **قصة امرأة عمران:** في لحظة تجرد وصفاء مع الله تعالى قالت امرأة عمران: { رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [آل عمران : ٣٥] ، بمعنى أنها وهبت بأحسن ما تحب وهو أن يكون ولدها خادما في المسجد الأ قصى، توقعا منها أن يكون ولدا وهنا يحكي القرآن: { فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران : ٣٦] ، وهذا يدل على أن الهبة التي قدمتها لم يعد لها محل حيث إن المولود أنثى، والأنثى لا تتحمل بنص الآية هنا من المهام ما يتحمله الرجل، ولا

يجوز حمل الآية هنا إلا على المهام دون المقام، منعا لشبهة التعارض بين النصوص والأحكام، وهذا يؤسس لمنهجية أن المرأة تختلف عن الرجل في المهام، وإن تساوت معه في المقام.

٢) **ابنتا الرجل الصالح**[١٩]: لقد دهش سيدنا موسى υ عندما ورد ماء مدين، ووجد امرأتين تذودان، فكان سؤاله: {مَا خَطْبُكُمَا }[القصص : ٢٣] ، وهذا يعني غرابة أن تقوم النساء برعي الغنم، وقد عبَّر القرآن ع ن ذلك بالخطْ ب وهو دائما الأمر الجلل . وكان الجواب رائعا حيث أجابتا بالأدب قبل السبب فقالتا : {لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ}، أي نلتزم أدب الخروج في عدم مزاحمة الرجال ومخالطتهم وسبب خروجنا عدم وجود عائل قادر على الكسب بسبب شيخوخة الأب، وهنا يقول الشيخ الشعراوي[٢٠] - رحمه الله-: "الضرورة هي التي أخرجت البنتين لسقي الماشية، وليس معنى الاضطرار أن تفرضا نفسيهما رجلاً وتتزاحما مع الرجال فالاضطرار له حدود فوقفتا بعيدً ا إلى أن يصدر الرعاء، ووظيفة المجتمع الفاضل أن يسارع إلى قضاء حاجة المرأة حتى ترجع إلى مكانها فلا يستغل فرصة الخروج ويُهاطل معها".

هذه هي المروءة التي قام بها سيدنا موسى υ عندما وجد امرأتين تحاولان سقي غنمه م ا بادر إلى المساعدة المتجردة الراقية وليست المساعدة المغرضة الهابطة لأهداف شيطانية، بل سقى لهما ثم انحاز عنهما، ولم يفعل كما يفعل بعض شباب ورجال اليوم مع النساء من تقديم خدمات، تتبعها مماحكات وحكايات واحتكاكات وضحكات ومحرَّمات، لكنه: {تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ } [القصص : ٢٤]، فجاءه الحلال الصافي يطرق بابه: { فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء}[القصص : ٢٥].

وهذا يفيد الإباحة مع التزام الشروط والآداب الشرعية، قال الزمخشري في تفسيره : " إِنْ قِيلَ كَيْف سَاغَ لِنَبِيِّ اللَّه الَّذِي هُوَ شُعَيْب υ أَنْ يَرْضَى لِابْنَتَيْهِ بِسَوْقِ الْمَاشِيَة ؟ قِيلَ لَهُ : لَيْسَ ذَلِكَ بِمَحْظُورٍ وَالدِّين لَا يَأْبَاهُ ؛ وَأَمَّا الْمُرُوءَة فَالنَّاس مُخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ ، وَالْعَادَة مُتَبَايِنَة فِيهِ، وَأَحْوَال الْعَرَب فِيهِ خِلَاف أَحْوَال الْعَجَم ، وَمَذْهَب أَهْل الْبَدْو غَيْر مَذْهَب الْحَضَر ، خُصُوصًا إِذَا كَانَتْ الْحَالَة حَالَة ضَرُورَة"[٢١].

---

[١٩] وَقَدْ اِخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذَا الرَّجُل مَنْ هُوَ ؟ عَلَى أَقْوَال أَحَدهَا أَنَّهُ شُعَيْب النَّبِيّ υ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَى أَهْل مَدْيَن وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُور عِنْد كَثِير مِنْ الْعُلَمَ اء وَقَدْ قَالَهُ الْحَسَن الْبَصْرِيّ وَغَيْر وَاحِد وَرَوَاهُ اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَبْد الْعَزِيز الْأُوَيْسِيّ حَدَّثَنَا مَالِك بْن أَنَس أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ شُعَيْبًا هُوَ الَّذِي قَصَّ عَلَيْهِ مُوسَى الْقَصَص قَالَ : " لَا تَخَفْ نَجَوْت مِنْ الْقَوْم الظَّالِمِينَ" (تفسير ابن كثير، راجع أيضا تفسير القرطبي، والجلالين).

[٢٠] كتاب "المرأة كما عرضها الله"، ص ٣٩-٤٠ وكتاب "القرآن الكريم معجزة ومنهاج"، ص١٠٨ -١٠٩.

[٢١] تفسير الكشاف، للزمخشري، سورة القصص، آية ٢٣ .

لكنه لا يفيد الوجوب الذي تطلع به هيئة الأمم والمنظمات النسائية والمؤتمرات الدولية التي تسعى إلى تمكين المرأة من الوظائف العامة مع الإهمال الجسيم لتحقيق المرأة رسالتها الأولى وهي الزوجية الرائقة، والأمومة الفائقة لتربية أجيال تصنع الحياة وفق منهج الله تعالى.

٣) **قصة ملكة سبأ**: التي اهتدت بكياستها وفطنتها ومشورتها إلى هذه النتيجة الإيمانية، قالت : { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل : ٤٤] ، هذه الحالة التي استغرب لها بشدة الهدهد أكثر من استغرابه من عبادتهم الشمس، فيرى بعض العلماء واقعة عين أو شرع من قبلنا الذي جاء نسخه في شرعنا بالحديث الذي رواه البخاري بسنده عن أبي بكرة نفيع بن الحارث أنه قال : "لقد نفعني الله بكلمة أيام الجمل ، لما ب لغ النبي ρ أن فارسا ملكوا ابنة كسرى قال : لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة "[٢٢]، اتسع الخلاف حول دلالة الحديث لكني أستطيع أن أقول في زماننا لو وُجدت امرأة في مثل هذه المرأة في قوتها وذكائها وحكمتها ولن تقصِّر في رسالتها الأولى زوجة وأمًا فلا يبعد والحالة هذه - جائزة - حتى يقيِّض الله لهذه الأمة رجلا يحكم وفق الأصل العام وليس الاستثناء الخاص، وللشيخ الغزالي - رحمه الله- رأي معتبر حول هذا الحديث يحتاج إلى حوار ومناقشة حيث يراه خاصا ب واقعة الدولة الفارسية وليس عاما للأمة الإسلامية مستأنسا بأن القرآن قد حكى قصة الملكة بلقيس التي قادت قومها إلى الإسلام مع سيدنا سليمان υ ، فلو وجدت قيادة من امرأة حكيمة مثلها فلا حرج بدلالة القرآن وتوجيه الحديث على أنه تفسير لواقعة عين في الدولة الفارسية[٢٣] .

ننتهي إذن إلى أن هذا الإلحاح المستمر يؤكد أن مهمة المرأة الأولى الزوجية والأمومة والذي تكرر مئات المرات لا يمكن أن يعارضه حالة مثل ملكة سبأ بل تؤيده قصة امرأة عمران، وبنتي الرجل الصالح بشكل يجعلنا نقول لا حرج على المرأة إن استوفت دورها لزوجها ولأولادها أن تخرج لشيء من العمل خاصة فيما يحتاجه المجتمع من تمريض، وتطبيب، وتدريس، ورعاية شؤون الأرملة واليتامى، والتزام الآداب الشرعية في الحجاب السابغ ملبسًا، وعدم الخضوع بالقول صوتًا وعدم الخروج بدون إذن الولي وجوبًا، وعدم الضرب بالأرجل مشيًا، وعدم الخلوة بأي

[٢٢] الجامع الصحيح، ص: ٧٠٩٩، حديث صحيح.
[٢٣] "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث"، للشيخ الغزالي، ص: ٤٨ ـ ٥١ ، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٩م .

رجل - غير محرم - عامة، على أن تظل المرأة منصفة من نفسها إن رأت أن عملها خارج المنزل يستنفد طاقتها ويستهلك قدراتها فلا بد أن تكون شجاعة في اتخاذ قرارها سأكون كما قال نبيي وشفيعي ρ في حديثه الذي رواه البخاري عن أبي هريرة τ قال: (نساء قريش خير نساء ركبن الإبل ، أحناه على طفل ، وأرعاه على زوج في ذات يده)[٢٤] .

سادسا: إذا سلمنا عقولنا وقلوبنا لو حي الله عز وجل وآيات كتابه المحكم سنجد أن المرأة دائما داخل محضن أسري رائع ورائق، يبدو ذلك من شواهد عديدة خلال الإحصاء والاستقراء والتدبر، فيما يلي:

١. أُمُّنا حواء هي زوجة حنون مع أبينا سيدنا آدم υ، سكنت معه الجنة، وأكلا منها رغدا وتوجه التكليف لهما معا ألا يأكلا من الشجرة، فنسيا وأكلا معا ، وانكشفت سوءاتهما معا وتابا معا، وهبطا إلى الأرض معا، وأنجبا البنين والبنات معا، وعمرا الأرض بالذرية.
٢. شاركت سارة زوجة سيدنا إبراهيم υ أفراحه وأتراحه لأنه كان يحنو ويغدق عليها الحب والفضل فأحبته حتى زوَّجته هاجر التي طاوعته في كل ما أمره به ربه، وأكرما الضيوف معا وتلقى البشارة بإسحاق معا.
٣. وهبت امرأة عمران ما في بطنها محررا، فذكرت مريم في القرآن الكريم أكثر من (١٠٠) مرة باسمها وعطفا عليها بالضمير ، وهي التي يتسابق أهلها وأسرتها على كفالتها وفاز بها زكريا υ وأعجب بقنوتها وعبادتها، وهي التي استنكرت بقوة أن تحمل بغير زوج فطمأنها ربها وهيأ لها من غدير الماء ورطب النخل ما يُغنيها، وصارت أمً ا فريدة في تاريخ العالم، رمزا للعفة والطهارة والعبادة والتسليم لأمر الله وحسن التربية.
٤. وفي القرآن نجد الأم الرؤوم لموسى υ التي تتخفى بفطرتها لتحفظ وليدها وتلقي بولدها في اليم امتثالا لأمر ربها، وظل قلبها بين جناحي طائر، فأوسلت أخته تتعقب أثره وتعرف خبره فما استراح قلبها إلا بعد أن ضمت موسى لقلبها، وأرضعته لبنها، وأورثته مكارمها.
٥. وفي القرآن أيضا ابنتا الرجل الصالح يلتزمان الأدب ويذكران السبب الذي ا ضطرهما للتكسب، فأغناهما موسى υ مؤنة الكسب ، وتزوج إحداهن وسارا معا في طريق وعر إلى سيناء، وآنسا من جانب الطور نارا ، فما كلَّف امرأته استجلاب قبس من النار، فذهب وحده يجلب لها الدفء، ثم عادا معا ليكمل رسالته مع الفرعون معاونة له في كل شيء.

---

[٢٤] الجامع الصحيح ، ص: ٣٤٣٤.

٦. وهي أيضا زوجة فرعون التي تدرك أنها ليست أمَ ة له ، وإنما أمَ ة الرحمن فلا تجاريه في ظلمه، وتدعو ربها أن ينجيها من عمله، وأن يبني لها عنده بيتا في الجنة.
٧. وهي في القرآن أيضا ملكة ذات عقل وحكمة ورأي ومشورة ظلمت نفسها وعادت إلى ربها ولم تسلم لسليمان υ وإنما أسلمت معه لرب سليمان υ، وأتت بقومها إلى رحبة الإيمان، فأي ذكاء عقل ونقاء قلب وصفاء صدر أرقى من ذلك؟!!.
٨. وها هي زوجة سيدنا يحيى υ مع زوجها يسارعان في الخيرات ويدعو ان ربهم رغبا ورهبا وكانا له خاشعين.
٩. وه ا هي زوجة سيدنا أيوب υ ترعى ضعفه ، وتطبب مرضه ، وتشاركه آلامه، حتى إذا قصرَّت مرة فتوعدها سيدنا أيوب، فعاتبه ربه وأوحى إليه أن يبرَّ بقسمه لكن مع لطف شديد، وأدب جميل.
١٠. وها هي عائشة رضي الله عنها زوجة النبي ρ ينزل القرآن غاضبا لها، منصفا إياها، رافعا الهم عنها، كاشفا الفرية عليها، مخلدا ذكرها .
١١. وهاهو القرآن يخاطب أسرة النبوة كلها أزواجا وبنات ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ويخاطب آل البيت فاطمة وأخواتها وأسرتها ـ رضي الله عنهم أجمعين - بأرقى ما يجب لأسرة مثلها من حب وتقدير وودٍّ وتوقير.
١٢. وتنزل سورة مختصة بالنساء وأخرى بالمجادِلة خولة بنت ثعلبة التي جاءت تشكو زوجها الذي ظاهر منها وأنزل القرآن منصفا إياها، واضعا حلاً لها ولأترابها.
١٣. ومن الواقعية التي يتصف بها القرآن ما ذكره من مواقف زوجة النبيين نوح ولوط ، من خيانة أسرار الدعوة؛ فكانتا من الهالكين ، وهي تدل على استقلاليتهما في الكفر أو الإيمان وعدم إكراههما.
١٤. وفي القرآن أيضا امرأة العزيز تراود فتاها يوسف وتغلق الأبواب وتتهيأ له فيتعفف ، وتطارده وتلقي عليه التهمة، وتصر على الملأ لكنه يؤثر السجن، ثم تعترف وتتوب، وتنال في الحلال ما لم تدركه له في الحرام.
١٥. وذكر القرآن استعلاء زينب على زيد زوجها وشكواه منها وأمر النبي ρ أن يمسكها ، وأمرها أن تحسن تبعلها وتقديرها لزوجها، ولم يتحمل زوجها أنفتها فطلقها وبعد عدتها تزوجها النبي ρ.
١٦. وها هي زوجة هلال بن أمية يراها زوجها تزني فلا يقتلها بل يرفع أمرها للقضاء وتأخذ حقها في الملاعنة والقسم فتنجو من العقوبة ولا يقربها أحد رغم يقين الجميع بجريرتها.

١٧. كما يذكر أن زوجة أبي لهب تحمل معه الحطب، وتعارض معه الحق وستكون صاحبته في جهنم.

سابعا: هذا على مستوى القصص القرآني، أما على مستوى التأصيل الشرعي فسنجد نصوصا كثيرة تدعو إلى ارتباط الرجل بالمرأة تحت ظلال الزواج، وتؤكد على أهمية النكاح، فسدَّ الإسلام كل أبواب الحرام ويسرَّ أبواب الحلال ليقي المجتمع من الانحلال. وفي تضاعيف آيات القرآن نجد المرأة والرجل صنوين ملتصقين في قوله تعالى:{ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ }[البقرة : ١٨٧]، الرجل زارع والمرأة حرثه، والرجل راع والمرأة مكمن سره، ورفق في الحيض و استمتاع بعده، ومشاورة بينهما في الفصال والفطام، وغير ذلك من شئون حياتهما الخاصة والعامة ، فإن استحال الإمساك بمعروف فتسريح بإحسان، وبذل الفضل والإحسان، والتعاون وكفالة لمدة عام حتى تكتفي بأهلها أو بزوج جديد، فإن أبى طلاقها خالعته وبذلت له الفداء إن كان العزوف منها.

ويؤكد القرآن على التماسك الأسري والصلح بين الزوجين إذا اختلفا والأشقاء إذا اختصما، ويسود العفو سواء في الخصومات الأسرية أو الاجتماعية التي تصل إلى حد القصاص والجنايات.

وفي القرآن والسنة نصوص كثيرة تحدد معايير الاختيار في الزواج، وتيسير الإجراءات والتكاليف، ولم يرَ الوحي بأسًا من أن تهب امرأة نفسها للنبي ρ، أو أن تُعرِّض ابنة الرجل الصالح لأبيها برغبتها في موسى υ ولا جناح على الرجال من التعريض لا التصريح في خطبة المرأة أثناء عدتها، بل لم يمنع المرأة أن تتعرض للخطاب طلبا للحلال، ومنع القرآن عضل المرأة بأن تُمنع بعد طلاقها من الزواج بغيره أو أن تعود إلى زوجها الأول إذا تصالحا.

كل ذلك مرهون في الوفاق وفي الشقاق بحسن تربية الأولاد على العقيدة الصافية، والأخلاق السامية، والشريعة العادلة، يأمرون بالعدل ويبذلون الفضل وتشتد الوصاية ببر الوالدين والإحسان إليهما وخفض الجناح إليهما أبًا وأمًا وإحسانًا إلى بقية العائلة أخًا وأختًا، عمًا وخالاً ، أو عمة وخالة، جدًا وجدة، ويتمدد هذا لكل ذوي القربى والجيران والأصدقاء والخلان، ليكون الرجال والنساء جميعا منصهرين في بوتقة الإحسان.

كما لا يفوت هذا الكمال والجمال الذي اتسم به القرآن أن يضع الحدود والعقوبات لمن اقترف السيئات وتجاوز الحقوق والحرمات ليرد المجتمع كله إلى الأمن في الحياة والنجاة بعد الممات.

ومن روعة القرآن أن رتب حقوقًا ماليةً جعلها واجبات شرعية على الرجال نحو نسائهم أُمًّا وزوجة وبنتًا وأختًا فجعلها مكفولة مصونة تحظى من الرجل الرعاية والكفالة والحماية والولاية، وكأنها ملكة في كل حال، فإن مات أحدهما ورث الآخر بنظام دقيق في الميراث والوصية لا نظير له في العدل والإنصاف في قوانين العالم كله .

الخلاصة

١) لعل جوهر الخلاف بين الثقافات والفلسفات والنظم والعقائد عن وضع المرأة في المجتمع ينبع عن عدم الاتفاق على أمرين ضروريين هما: المقام والمهام.

٢) المقام هو المكانة والقيمة والمنزلة، والمهام هي الوظيفة والدور والمهمة التي يجب أن يقوم بها كل من الرجل والمرأة.

٣) هناك ثلاثة اتجاهات بخصوص المقام والمهام هي : التحجر والتحلل ويأتي في و سطهما الاعتدال، اتجاه التحجر يحتقر المرأة مقامًا، ويضيِّق عليها مهامً ا، بينما ينفلت اتجاه التحلل في المهام ويساويها بالرجال، وتسبقه أحيانًا في المقام، لكن ديننا الحنيف هو رمز الاعتدال يؤكد أن المرأة والرجل صنوان متساويان تماما في المقام ، متكاملان وإن اختلفت المهام. ولكل اتجاه مظاهره ونتائجه التي تؤدي إلى أمة راكدة أو فاسدة أو رائدة.

٤) وجهت الدراسة خطابين لشريحتين من الناس، خطاب التأسيس لمن لا يؤمن بالوحي السماوي ونبدأ معه بالدليل العقلي، وصولا إلى صحة الدليل النقلي، أم ا خطاب الترسيخ فيبدأ مع من يؤمنون بالوحي فيرسخ لهم الإيمان بالبحث والاستقراء العقلي وفق منهجية : { أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي } [البقرة : ٢٦٠]. في خطاب التأسيس هناك المئات من عناصر الاختلاف بين الرجل والمرأة سواء الجسماني أم العقلي أم النفسي، وقد جعلتها في جدول محدد النقاط في خلاصات من أبحاث علمية دقيقة.

٥) أوردت الدراسة إحصاءات في المجال التطبيقي على أن الاختلاف في القدرات والمهارات بين الرجال والنساء أدى في الواقع إلى تفوق للنساء في مجالات دراسية ووظيفية مثل مواد اللغات والاجتماعيات ووظائف السكرتارية والتدريس، كم ا تفوق الرجال عليهم في مجالات أخرى مثل الرياضيات والفيزياء والهندسة والإدارة. كما أن الاختلاف ليس فقط في الإنجاز وإنما في الجرائم حيث يختلف الرجال عن النساء في نسب ونوعية الجرائم.

٦) من الأدلة العقلية القطعية على أن الزوجية قانون الله الذي لا يتخلف في أي مادة من المواد، فالذكورة والأنوثة، والسالب والموجب، حيث توجد في الكهرباء والمغناطيسية والذرة والنبات والسحاب والعواصف الرعدية وغيرها، بحيث يستحيل نظام الكون من غير التقاء السالب بالموجب والذكورة بالأنوثة.

٧) هذه الأدلة العقلية والأبحاث العلمية والإحصاءات الميدانية تؤكد قانون الزوجية وعدم التماثل في المهام: { وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى } [آل عمران : ٣٦] بما يشير بقوة إلى ضرورة استصحاب الوحي لتصحيح العقل الذي لا يخلو من تشبع الهوى ومحدودية استدراكه بالصورة الكلية والتفصيلات الجزئية مما يعني أن العقل لا يستغني بحال عن النقل.

٨) في خطاب الترسيخ اعتمدت الدراسة "ختمة التدبر" لكل نصوص القرآن بحثا عن المرأة سواء كان نصاً جلياً أو تضميناً جلياً أو خفياً، فالنص الجلي مثل لفظ امرأة وأنثى ونساء وأم ووالدة، والتضمين الجلي مثل الوالدين، أبويه، زوج، النكاح، الذرية، الولد . أما التضمين الخفي فهو التعبير بالحروف أو الضمائر مثل يغضضن أبصارهن، آبائهن، واستبعد الاستقراء والإحصاء الألفاظ التي وردت بلفظ يدل على الأنثى لكنه سياقًا أو دلالة لا يدل عليه مثل "أهل الكتاب "، "فأمه هاوية".

٩) ورد في القرآن الكريم ذكر المرأة حوالي (١٣٧٨) مرة نصًا أو تضمينًا مما يقطع بقمة الاهتمام الخاص بها، فضلا عن كونها مضمنة في الخطاب الرباني العام وفقا لقاعدة : "النساء مستورات في الرجال".

١٠) هناك أكثر من سبعين موضعا توصف بها المرأة بأرقى الصفات لتترسخ صورتهن في عقول المسلمين والمسلمات أنهن خيرات بتزكية الله لهن، أ ما الصورة الأخرى السلبية فهي قليلة لم تزد على (١١) موضعا.

١١) الصورة السائدة في القرآن أن المرأة تعيش في محضن أسري زوجة وأمًا وبنتا وعمة وخالة على أن أوضح هذه الصور هي الزوجية، سواء في الجانب التأصيلي في الحث على النكاح، ومعايير الاختيار وتيسير الإجراءات وتوثيق العلاقة وحسن العشرة وتحمل المسؤولية، وتضييق أسباب الطلاق على الجانب التطبيقي في قصص القرآن مثل: أمُ البشرية حواء، السيدة سارة، السيدة مريم، السيدة عائشة، أم موسى، امرأة عمران، امرأة فرعون، زوجة سيدنا أيوب . كما جاءت - وفقا لمنهجية الواقعية - قصص لزوجات غير صالحات مثل : امرأة نوح، امرأة لوط، امرأة العزيز، وحمالة الحطب.

١٢) إذا كان القرآن قد سوّى بين المرأة والرجل في المقام بنصوص كثيرة واضحة قطعية ، فلم يسوِّ بينهما في المهام حيث لم نجد المرأة عاملة كادحة سعيا لطلب الرزق الحلال سوى في قصة ابنتي الرجل الصالح حيث التزمت الأدب قبل بيان السبب في أن أباهما شيخ كبير، فكانت المروءة بكاملها من سيدنا موسى أن سقى لهما ثم تزوج إحداهما ليكفيهما مؤنة التكسب، ليعود

الاستثناء إلى الأصل وهو أن المرأة مكفولة من أب أو زوج أو أخ أو غيره من العصبات، ويؤكد هذا اعتذار امرأة عمران عن الوفاء بنذر ولدها في الخدمة بالمسجد الأقصى لأن الذكر ليس كالأنثى. أما ملكة سبأ فهي حالة تحتاج إلى ترجيح أصولي في ضوء حديث (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)[٢٥] ، وإن كانت الأدلة إجمالا تشير إلى جواز عمل المرأة خارج البيت بشرط أن يناسب أنوثتها وألا يؤثر على رسالتها زوجة وأمًا، وأن تلتزم الضوابط الشرعية في لبسها وكلامها أو الضرب برجلها وعدم الخلوة بغير محارمها.

[٢٥] الجامع الصحيح، ص: ٧٠٩٩.

التوصيات

١) يجب تجديد الخطاب حول قضية المرأة بالاتفاق على موضوع الحوار فإن كان متعلقً ا بالمقام فالرجل والمرأة متساويان، لهما رب واحد ومن أصل واحد، وكرامة واحد ة، أما المهام فيتكاملان وإن اختلفا في بعض التكاليف والوظائف وفقًا للسُنة التنوع والاختلاف في الجوانب الجسدية والعقلية والنفسية.

٢) يجب أن نتبنى خطابين عند الحوار هما خطاب التأسيس وخطاب الترسيخ ، وخطاب التأسيس يتوجه لمن لا يؤمن بالوحي الرباني باستصحاب الأدلة الحسية والعقلية والإحصاءات العلمية، عسى أن يهتدي هؤلاء إلى الإيمان بالوحي، إما خطاب الترسيخ فيعتمد على التدبر في نصوص الوحي قرآن وسُ نة وصولا إلى ترسيخ الإيمان وفق منهجية : { أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} [البقرة : ٢٦٠]، وهذا ه و أفضل أسلوب للحوار مع فريق الاعتدال في مواجهة فريق التحلل والانحلال .

٣) لا يجوز أن نهمل في تجديد الخطاب الديني هذا الإلحاح الوفير عن المرأة في القرآن حيث ذكرت (١٣٧٨) مرة ، وأن المهام الرئيسية السائد ة للمرأة هي الزوجية والأمومة ، ويقوم الرجال بواجب الكفالة والرعاية والحماية والولاية والقوامة، ولا حرج من المشاركة في العمل العام بشرط أن تتوافق مع أنوثتها الرقيقة ورسالتها العريقة .

الفهرس

- تقديم.
- مقدمة: جوهر الخلاف في قضية المرأة.
- مدخل تعريفي: بين المقام والمهام.
- الفصل الأول: خطاب التأسيس في المقام والمهام.
- الفصل الثاني: خطاب الترسيخ في المقام والمهام.
- الخلاصة.
- التوصيات.
- الفهرس.